يدعون كانه قيل انما يدعون من دون الله ما سيحق ان يطلق عليه شيء فيكون تاكيدا للتشبيه الذي
وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وجعله ههنا عدما صرفا لا يستحق ضعفه
معبوده لان يسمى شيئا قوله وشيء مصدر وقيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعائكم
من شيء من الله عاهم قوله تعليل على المعنيين اي سواء ما كان تجهيلا لهم او وعيدا قوله يعني المثل
المثل والنظير والمثل الشبه وضرب المثل عبارة عن اتيان الشبه من المعاني المحتجبة عن الاوهام
والامور الجلية لدى العقول والحواس تصويرا لتلك المعاني وتقريبا لفهمها كما شبه الله
تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما نسجه وذلك لان التشبيه يؤثر
في النفس مثل تاثير الدليل فانك اذا قلت لمن يغتاب انك بالغيبة كانك تاكل لحم الميت لانك
وقعت في هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمعه حتى يجيب لكنك تقع في ميت تاكل
منه وهو لا يعلم ما يفعله فلا يقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة
ما جلي قبحه لما ضرب الله تعالى الذباب وبيت العنكبوت مثلا لاله المشركين قال الجهلة منهم
ان الله لا يستحيي مثلا بالذباب والعنكبوت ولم يعرفوا احسن التمثيل وفائدتها
فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك الامثال المضروبة في القران بكل شيء نضربها
تقريبا لما بعد من افهامهم فان لم يكونوا كالانعام يعقلون حسنها وفائدتها والا فلا يدل
الى حسنها قوله نضربها يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدلا او عطف بيان وان يكون
الامثال خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال
اراد ان يبين اصرارهم ذلك ليس لانعدام الايات الدالة على وحدانيته الالهية وكمال علمه
وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض متلبسا بالحق والحكمة البالغة اية دالة
على ما ذكر الا ان الايات من الايات العظمى لا يجعلها مطرح النظر ومطمح الفكر يستدل
على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع في جميع ما امر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى
انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع بها دون من اعرض عنها ودلى واستكبر واتبع هواه واثر اللذات
العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لما بين ان من خالف الحق انما يخالفه عنادا واستكبارا
لا لقصور في البيان والبرهان امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمواظبة على تلاوة ما اوحي اليه
وباقام الصلوة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد
ثلث قلبية وهو الاعتقاد الحق ولسانية وهو الذكر الحسن وبدنية خارجية وهي
العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى
بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر الى ان يطرأ عليه ضده فلما لم يمكن تكرير العبادة القلبية

القلبية امر بتكرير التلاوة التي هي الجامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقام الصلوة التي هي معظم
العبادات البدنية قوله بان يكون سببا للانتهاء جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي
الفعلة القبيحة والمنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل ولا تنهاه صلوته عنها وتقرير الجواب ان
الصلوة التي يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بل يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجيا له
بانواع التذلل والتواضع لاجرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون
سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وبعد الفراغ عنها ايضا الى ان يطرأ
عليه شيء من الغفلة ثم ان الصلوة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر
والخشية ويدوم بدوامه الامتناع عن المعاصي فجعل الصلوة ناهية على طريق الامتناع هو الحكم الكلي
اسناد سبب سببه فان الصلوة سبب التذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي
قوله تعليل اي للاشارة لا ان علة كونها افضل من سائر الطاعات لاشتمالها على ذكر
تعالى بحسب تصوير كانها نفس الذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلوة لمن لا يطع الصلوة وطاعة الصلوة ان ينتهى عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن وقتادة
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة عليه وهي وبال عليه وقيل من كان
مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما وقد روي انه قيل للنبي ان فلانا يصلي
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم
لسخف اراءهم ونسبتهم الى الضلالة اباهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين بعد
طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فانهم لما اقروا وامنوا
بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزاء وما قالوا بكل حسن سوى الاعتراف
برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخاشن معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل ابائهم الاقدمين
واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلا يجادل معهم في امر الدين
الا باحسن طرق المجادلة وهو ان يبحث معهم بازالة شبهتهم وتبيين الحق لهم باقامة
الحجة والبرهان وتلاوة القران قوله بالافراط في الاعتداء والعناد فسر الظلم بالافراط
لان الكل ظالم واذا وصف بالظلم يراد ذلك قوله وجوابه اخر الدواء يعني انها لا تنفع
هذه الا دون المجاملة في المجادلة افاده في حق من لم يظلم منهم بالافراط في الاعتداء
وان السيف في حق من ظلم وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة قوله عليه السلام لا تصدقوا
اهل الكتاب اي بما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام الحديث في بعض الروايات اي لا تصدقوهم لان
الله تعالى اخبر انهم كتبوا بايديهم وقالوا هو من عند الله وهذا نهي عن تكذيبهم ظاهر قوله

Copyright © King Saud University